بسم الله الرحمن الرحيم

فضائل الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما

بحث مقدم إلى مؤتمر

"فضائل الصحابة وآل البيت"

المنعقد بجمعية أهل السنة أنصار آل البيت والأصحاب

في الفترة: 7-2010/7/8م

إعداد:

الدكتور/ خالد يونس الخالدي

أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك في الجامعة الإسلامية – غزة

1431هـ - 2010م

ملخص البحث:

تناول البحث فضائل الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان ﷺ، وقد تمت معالجة الموضوع من خلال تقسيمه إلى ثلاثة عناوين رئيسة، كان الأول: فضائل معاوية بن أبي سفيان في زمن النبي ﷺ، وقد تبين من خلاله أن معاوية أسلم قبل الفتح، وأن النبي ﷺ قد وثق به وقربه وائتمنه على كتابة الوحي، وأثنى عليه، وبشره بالملك، ودعا له.

وكان الثاني: فضائل معاوية في خلافة الراشدين وخلافته، وقد ثبت أن الخلفاء الراشدين وثقوا به وولوه وأثنوا عليه، وأنه صاحب الفضل في إنشاء أول أسطول بحري للمسلمين، وأنه أول من أغزى المسلمين في البحر، وأول من هزم أعداء المسلمين فيه، وأول من أغزى المسلمين القسطنطينية، وأنه الفاتح لمعظم سواحل الشام وللمغرب الأوسط ولمعظم جزر البحر المتوسط، وأن جيوشه أجبرت أهل كابل وبخارى وسمرقند على دفع الجزية للمسلمين، وأنه صاحب الفضل في توحيد المسلمين في عام الجماعة بعد أكثر من خمس سنوات من الاقتتال والفتن، وأنه حقق الوحدة بالحلم والحكمة دون إراقة دماء.

وكان الثالث: فضائل معاوية عند الصحابة والتابعين والعلماء والمؤرخين، وقد لوحظ: أنهم وثقوا به، وأحبوه، وأثنوا عليه، وشهدوا بفضائله، ودافعوا عنه، وردوا على التهم التي روجها ضده الحاقدون.

ABSTRACT

The research virtues Sahaabi Muawiyah may Allah be pleased with him, has been to address the issue through divided into three headings, was the first: "the virtues of Mu'awiya bin Abi Sufyan in the time of the Prophet peace be upon him", was found through which Sid Aslam before the Conquest, and that the Prophet peace be upon him had trusted him and closeness and entrusted him to write a revelation, praised him, and ordered Bmchaorth, nails the king, and sublicated to him.

The second, "Virtues of Muawiyah in the succession of adults and succession," has proven to be Caliphs and trust him and responsible and

commended him, and that the owner of the credit for the establishment of the first naval fleet of the Muslims, and that the first Ogzy Muslims in the sea, and the first to defeat the enemies of Muslims in it, and the first Ogzy Muslims of Constantinople, and that the conqueror of most of the coast of the Levant and Maghreb East and most of the Mediterranean islands, and his army forced the people of Kabul and Bukhara and Samarkand to pay tribute to the Muslims, and that's credited with uniting the Muslims in the group after more than five years of fighting and strife, and that unity in a dream, and wisdom without bloodshed.

And the third was: "Virtues of Muawiyah when companions and followers, scholars and historians, " has been noted that they trusted him and loved him, and commended him, and witnessed the virtues and defended him, and responded to the charges against the cynical haters.

المقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

الذي يدرس تاريخ معاوية بن أبي سفيان ﷺ، ويتأمل في شخصيته وصفاته ومناقبه وجهاده وفتوحاته وفضائله وإنجازاته وخدماته للإسلام والمسلمين، وثناء النبي ﷺ وأصحابه عليه ودعاؤهم له، وثقتهم به، لا يملك إلا أن يحبه ويعجب به، ويرجو لو أنه ظل حاكماً للمسلمين الدهر كله، يجمع كلمتهم، ويوحد صفهم، ويحلم على مسيئهم، ويقرب محسنهم، ويعدل بينهم، ويطور دولتهم، ويمكر ضد أعدائهم، ويواصل غزوه وفتحه لبلادهم، ولا عجب ممن تربى بين يدي رسول الله ﷺ على هدي كتاب الله وسنة رسوله أن يكون بتلك الخيرية والاستقامة، وإنما العجب من بعض المسلمين الذين لا يقدرون ذلك الصحابي الجليل، ولا يحبونه، ولا يعرفون من تاريخه إلا قصة الخلاف بينه وبين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، وحتى تلك القصة لا يعرفونها على حقيقتها، بل من خلال رواة جهلة حاقدين شوهت الشعوبية عقولهم، وأغلظت الطائفية قلوبهم، فصاروا يكرهون ويلعنون ليس معاوية وبني أمية فحسب، وإنما أبا بكر وعمر وكل من أسهم من الصحابة الكرام في إسقاط دولة أجدادهم المجوسية.

إن الأمة التي تملك رجالاً: كعلي ومعاوية وعمر وأبي بكر وعثمان وغيرهم من الصحابة الكرام ﷺ، ينبغي أن تفخر بتاريخهم، وتسطره بماء الذهب، وتعلّم سيرهم الرائعة للأجيال تلو الأجيال؛ ليظلوا محبين لأجدادهم وقادتهم مقتدين بهم، فتعز الأمة وتسود مثلما عزت وسادت قروناً من الزمن على أيدي أولئك الكرام الكبار، ومن ساروا على دربهم، أما إذا عُرض تاريخ أولئك الأجداد بصورة مشوهة، ورُبِّي الأبناء والأحفاد، ونُشِّئت الأجيال على كرههم ولعنهم، فلن تعز الأمة ولن تعود إلى السيادة التي فقدتها، وستبقى مهينة مغلوبة مقهورة؛ لأن أبناء المسلمين لن يجدوا من يقتدون به إلا مشاهير الغرب العابثين الساقطين الفاقدين للإيمان وللأخلاق والقيم.

مبررات الدراسة:-

لقد أقدم الباحث على دراسة هذا الموضوع لأسباب عدة أهمها:-

١ -سدً للنقص في الدراسات التي تظهر فضائل الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان، وتعتمد على الجمع بين مصادر السنة النبوية الصحيحة ومصادر التاريخ الإسلامي الموثوقة.
٢ -إنصافً لصحابي جليل تشوه تاريخه من قبل رواة تعمدوا في تشويهه خدمة لآل البيت حسبما يزعمون، إذ أغرقوا مصادرنا بروايات كاذبة تسيء إلى معاوية ﷺ، ولا عجب فقد تجرأ أؤلئك حتى على النبي ﷺ فوضعوا عشرات الألوف من الأحاديث، رغبة في تحقيق ذلك الهدف المزعوم!.
٣ -توضيح لحقيقة شخصية معاوية كما عرفها النبي ﷺ وأصحابه الكرام والتابعون والعلماء والمؤرخون المنصفون.
٤ -دفاع عن صاحب فضل كبير، يستحق أن يُدافع عنه، بل يتوجب علينا ذلك، فهو الذي فتح معظم مدن فلسطين، وأسهم في وصول الإسلام إلينا، وإلى بلدان وشعوب كثيرة في المغرب والمشرق، وعز به الإسلام والمسلمون عقوداً من الزمن.
٥ -رغبة في الإفادة من سيرة معاوية وتجاربه السياسية والعسكرية والإدارية، الغنية بالدروس والعبر، والتي تظهر من خلال ذكر فضائله.
٦ -تعزيز ثقة الأجيال الحاضرة واللاحقة بقادة الأمة الكبار أمثال معاوية بن أبي سفيان، فيقتدوا بهم، ويتحصنوا ضد محاولات التشويه لتاريخهم التي يقوم بها أعداء المسلمين من أجل ألا تعود الأمة إلى سالف عزها وسيادتها.

هيكلية البحث:-

عالج الباحث الموضوع من خلال تقسيمه إلى ثلاثة عناوين رئيسة هي:-

- أولاً: فضائل معاوية بن أبي سفيان في زمن النبي ﷺ.
- ثانياً: فضائل معاوية في خلافة الراشدين وخلافته.
- ثالثاً: فضائل معاوية عند الصحابة والتابعين والعلماء والمؤرخين.

منهج البحث:-

سوف يعتمد الباحث في دراسته على ما يلي:-

١ -المنهج التاريخي الوصفي التحليلي.

٢ ـ الإكثار من ذكر النصوص التي تدعم فكرة البحث؛ لأن ذكرها كما هي أقوى دلالة وأصدق شهادة، فهي تمثل شهادات لمن عرفوا معاوية أو سمعوا عنه أو درسوا تاريخه.

٣ ـ الاعتماد ما أمكن على المصادر الأكثر دقة، وذلك بالتركيز على كتب السنة النبوية الصحيحة، وكتب التاريخ الموثوقة.

٤ ـ عدم التعريف إلا بالأعلام التي يترجح عندي أنها مجهولة لمعظم القراء؛ حفاظاً على حجم البحث من الزيادة؛ لأنه مقدم كورقة إلى مؤتمر.

أولاً: فضائل معاوية بن أبي سفيان في زمن النبي ﷺ.

١ ـ أسلم معاوية بن أبي سفيان في سنة (7هـ = 628م)، أي قبل فتح مكة، وليس في عام الفتح كما يظن البعض[١]، لأنه قال: "أسلمت يوم القضية، ولقيت النبي ﷺ مسلماً"[٢]، وقال: "أسلمت يوم القضية وكتمت إسلامي خوفاً من أبي"[٣]، وفي رواية أخرى: "أن معاوية كان يذكر أنه أسلم عام الحديبية، وكان يكتم إسلامه من أبي سفيان، قال: فدخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح، فأظهرت إسلامي ولقيته، فرحب بي"[٤]، وأكد ذلك ابن كثير الذي قال: "وروي عنه أنه قال: "أسلمت يوم القضية، ولكن كتمت إسلامي من أبي، ثم علم بذلك فقال لي: هذا أخوك يزيد، وهو خير منك، على دين قومه، فقلت له: لم آل نفسي جهداً، قال معاوية: ولقد دخل عليّ رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضاء وإني لمصدق به، ثم لما دخل عام الفتح أظهرت إسلامي، فجئته فرحب بي، وكتبت بين يديه"[٥]، ومعاوية مصدَّق فيما قال، وأدرى بما في قلبه من الناس الذين لم يعلموا بإسلامه إلا بعد أن أظهره يوم فتح مكة، فظنوا أنه أسلم وقتئذ، وبذلك يكون معاوية من الذين شرفهم الله تعالى بالإسلام قبل الفتح.

٢ ـ شهد مع النبي ﷺ غزوتي حنين والطائف[٦]، وكذلك غزوة تبوك[٧]، وإنه لفضل عظيم لمعاوية ﷺ أن يقاتل مع النبي ﷺ، وتحت قيادته.

٣ ـ استأمنه النبي ﷺ على كتابة الوحي، فقد ثبتت كتابته لرسول الله ﷺ في الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم، فعن ابن عباس قال: "كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه، فقال للنبي ﷺ: "يا نبي الله ثلاث أعطنيهن، قال: نعم، قال: عندي أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها، قال: نعم، قال: ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك، قال: نعم، قال: وتؤمرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين، قال: نعم"[٨]، ولا شك أن اختيار معاوية كاتباً للوحي ولمراسلات النبي ﷺ الخاصة، شرف رفيع، وفضل عظيم لمعاوية، ومؤشر

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج8/ص117.

(٢) ابن عبد البر،الاستيعاب، ج3/ص1416.

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج59/ص55.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج7/ص406.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج8/ص117.

(٦) المصدر نفسه، ج7/ص406.

(٧) أبو يعلى الموصلي، مسند أبي يعلى، ج3/ص171. ينظر: تاريخ مدينة دمشق ج2/ص40.

(٨) مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج4/ص1945.

واضح على الثقة التي نالها من رسول الله ﷺ، إذ يستحيل أن يكلفه بتلك المهمة لولا تيقنه من صدقه وأمانته وعدالته.

٤ -دعا له النبي ﷺ فقال: "اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب"[٩]، "ولما عزل عمر بن الخطاب عمير بن سعد عن حمص ولى معاوية، فقال الناس: عزل عميراً وولى معاوية، فقال عمير: لا تذكروا معاوية إلا بخير، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: اللهم اهد به"[١٠]، وفي رواية أخرى أنه قال لمعاوية: "اللهم اجعله هاديا مهديا واهد به"[١١]، وما أعظمه من فضل أن يدعو النبي عليه الصلاة والسلام لمعاوية بالهداية والمغفرة!.

٥ -يعد معاوية بن أبي سفيان ﷺ خال المؤمنين؛ لأنه أخو أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان التي زوجها النجاشي لرسول الله ﷺ وهي في الحبشة، بعد أن توفي هنالك بعلها عبد الله بن جحش، حيث دفع النجاشي مهرها وجهزها ثم أرسلها إلى رسول الله ﷺ، فتزوجها[١٢]، وكان معاوية يفخر بذلك، حيث روي أنه خاطب الحسين بن علي ﷺ فقال: "سألتك بالله يا أبا عبد الله، أليس أنا خال المؤمنين؟! فقال: أي والذي بعث جدي نبياً، ثم قال: سألتك بالله يا أبا عبد الله أليس أنا كاتب الوحي؟! فقال: إي والذي بعث جدي نذيراً"[١٣]، وإنه لفضل يحق لمعاوية أن يفخر به، فأم حبيبة أم للمؤمنين في كل زمان ومكان، وبذلك يكون معاوية ﷺ كذلك خال للمؤمنين في كل زمان ومكان.

٦ -روى معاوية عن النبي ﷺ 169 حديثاً، أخرج البخاري[١٤]، ومسلم عدداً منها[١٥]، قال محمد بن سيرين: "كان معاوية إذا حدَّث عن رسول الله ﷺ لم يتهم"[١٦]، وبالرغم من الشروط الدقيقة والصعبة التي وضعها كل من البخاري ومسلم في الرواة الذين تقبل روايتهم للحديث النبوي إلا أنهما اعتمدا عدداً من الأحاديث التي رواها معاوية في صحيحيهما، وكيف لا يأتمنانه ويعتمدان

(٩) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج4/ص127؛ ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج16/ص192؛ ابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة، ج3/ص214.

(١٠) الترمذي، سنن الترمذي، ج5/ص687.

(١١) سنن الترمذي ج5/ص687. يُنظر: ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج4/ص216.

(١٢) ابن حبان، صحيح ابن حبان ج13/ص386؛ الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين ج2/ص198.

(١٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج14/ص113.

(١٤) البخاري، صحيح البخاري، ج2/ص704، ج3، ص1285، ج5، ص2216، ج6، ص2667.

(١٥) مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم ج1/ص290، ج2/ص719، ج2/ص913، ج3/ص1524.

(١٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ج8/ص134.

أحاديثه، وقد استأمنه الرسول صلى الله عليه وسلم على كتابة القرآن الكريم الذي ينزل به الوحي من السماء؟!.

ثانياً: فضائل معاوية في خلافة الراشدين وخلافته.

حظي معاوية بن أبي سفيان بمكانة كبيرة عند الخلفاء الراشدين، يُستدل على ذلك من كثير من المواقف والشهادات، نذكر منها ما يلي:-

١ -شارك ضد المرتدين في معركة اليمامة في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ، ويقال: إنه هو الذي قتل مسيلمة الكذاب[١٧]، فقد جاء في تهذيب الكمال: أن معاوية بن أبي سفيان قال: "أنا قتلت مسيلمة"[١٨]، وأكد ذلك ابن عساكر فقال: "حضر عبد الملك بن مروان حين قدم عليه وفد بني حنيفة، فقال عبد الملك: هل فيكم من حضر قتل مسيلمة؟ قال رجل منهم: نعم، فأنشأ يحدثه بالوقعة التي كانت بينهم، قال عبد الملك: فمن ولي قتل مسيلمة؟ قال: رجل أصبح الوجه كذا وكذا، فقال عبد الملك: قضيت والله لمعاوية... وكان معاوية يدعي ذلك"[١٩]، ولا شك أن في المشاركة في معركة اليمامة فضل كبير؛ لأنها كانت معركة حامية الوطيس استشهد فيها نحو سبعمائة من الصحابة الكرام[٢٠]، فكيف بفضل من أبلى فيها بلاء حسناً، لدرجة أنه تمكن من قتل قائد المرتدين مسيلمة الكذاب؟.

٢ -أبلى معاوية بلاء حسناً في الجيش الذي وجهه أبو بكر الصديق تحت قيادة يزيد بن أبي سفيان لفتح الشام، فقد كان قائداً ميدانياً في المقدمة، قال البلاذري: "فوجه أبو عبيدة يزيد بن أبي سفيان، فسار يزيد وعلى مقدمته معاوية أخوه، ففتح يزيد وعمرو سواحل الأردن، فكتب أبو عبيدة بفتحهما لها، وكان لمعاوية في ذلك بلاء حسن وأثر جميل"[٢١]، ومثال لذلك فتحه لقيسارية سنة (16هـ = 637م) التي تحدث عن فتحها عدد من المؤرخين[٢٢] منهم ابن الأثير الذي قال: "وكان سببها أن عمر كتب إلى يزيد ابن أبي سفيان أن يرسل معاوية إلى قيسارية، وكتب عمر

(١٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ج8/ص117.

(١٨) المزي، ج14/ص539.

(١٩) تاريخ مدينة دمشق، ج59/ص107.

(٢٠) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ج9/ص12.

(٢١) البلاذري، فتوح البلدان، ج1/ص124. ينظر:ياقوت، معجم البلدان، ج1/ص148.

(٢٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج4/ص192؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج2/ص543.

إلى معاوية يأمره بذلك، فسار معاوية إليها فحصر أهلها، فجعلوا يزاحفونه وهو يهزمهم ويردهم إلى حصنهم، ثم زاحفوه آخر ذلك مستميتين، وبلغت قتلاهم في المعركة ثمانين ألفاً، وكملها في هزيمتهم مائة ألف وفتحها"[٢٣]، وابن كثير القائل: "أمَّر عمر معاوية بن أبي سفيان على قيسارية، وكتب إليه: أما بعد: فقد وليتك قيسارية، فسر إليها، واستنصر الله عليهم، وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، الله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا فنعم المولى ونعم النصير، فسار إليها فحاصرها، وزاحفه أهلها مرات عديدة، وكان آخرها وقعة أن قاتلوا قتالاً عظيماً، وصمم عليهم معاوية، واجتهد في القتال، حتى فتح الله عليه، فما انفصل الحال حتى قتل منهم نحواً من ثمانين ألفاً، وكمل المائة الألف من الذين انهزموا عن المعركة"[٢٤]، إن ذلك البلاء الحسن، والقدرة على الإثخان في جيش الإمبراطورية الرومانية المؤهَّل للحروب، وإلحاق الخسائر الفادحة في صفوفه، ليدل بشكل واضح على الجانب الآخر في شخصية معاوية ﷺ، والذي لم ينتبه إليه كثير من الباحثين، ألا وهو الجانب العسكري، فهو لم يكن قائداً سياسياً فذاً فحسب، بل كان قائداً عسكرياً ناجحاً منتصراً، ومقاتلاً صلباً لا تلين له قناة، وقلما يجمع قائد بين الجانبين السياسي والعسكري ويتفوق فيهما.

٣ - وثق به عمر بن الخطاب؛ بسبب بلائه الحسن، وسيرته الطيبة، فولاه على دمشق بعد وفاة أخيه يزيد في طاعون عمواس سنة (19هـ = 640 م)، ثم ضم إليه الشام كلها، وأبقاه والياً عليها مدة خلافته؛ لأنه لم يجد منه إلا خيراً[٢٥]، ولا شك أن الرجل الذي يقع عليه اختيار عمر بن الخطاب من بين آلاف الصحابة الكرام، ليكون قائداً، ثم والياً، ولا يجد عليه عمر طوال مدة خلافته ما يدعو إلى عزله بالرغم من شدته، وكثرة متابعته ومراقبته لعماله، بل ويمدحه ويثني عليه، لا شك أنه فاضل ثقة يستحق الإعجاب والتقدير.

٤ - أول من طالب الخلافة ببناء أسطول للمسلمين هو معاوية بن أبي سفيان ﷺ، ولم يأذن عمر بن الخطاب ﷺ له خوفاً على المسلمين غير المعتادين على ركوب البحر من الغرق، وكرر معاوية الطلب في خلافة عثمان ﷺ، فأذن له بعد أن

(٢٣) الكامل في التاريخ، ج2/ص344.

(٢٤) البداية والنهاية، ج7/ص53.

(٢٥) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3/ص126؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8/ص118، ص122.

اشترط أن يُخيَّر المسلمون ولا يُجبروا على ركوب البحر[٢٦]، فبنى دوراً لصناعة السفن في مصر وعلى سواحل الشام، واستقدم لذلك الصناع والنجارين من كل مكان، ونجح في بناء أسطول كبير للمسلمين[٢٧]، وإنه لمن الإنجازات العجيبة التي يسجل فيها الفضل لمعاوية أن المسلمين بدءوا ركوب البحر في أول خلافة عثمان ثم ينجحوا بعد مرور أقل من أربع سنوات على خلافته وتحديداً في سنة (27هـ = 648م) في فتح جزيرة قبرص[٢٨]، ثم يتمكنون من حسم معركة بحرية كبيرة سنة (31هـ = 652م) هي معركة ذات الصواري، التي فر الروم فيها منهزمين بالرغم من كثرة عدد مراكبهم التي بلغت نحو خمسمائة مركب، وبالرغم من أن قائدهم فيها كان قسطنطين بن هرقل[٢٩]، ثم يفتحون معظم جزر البحر المتوسط، ويسيطرون على الملاحة فيه، ثم ينجحون في محاصرة القسطنطينية عاصمة الروم سنة (51هـ = 672م) لمدة سبع سنوات في حملة برية بحرية كبيرة[٣٠]، إن في إلحاح معاوية على الخلافة في المدينة بضرورة السماح للمسلمين بركوب البحر وبناء أسطول بحري لدليل على سعة الأفق وبعد النظر الذي تمتع به، خصوصاً أنه ولد ونشأ في مكة بعيداً عن الساحل، وليس له ولا لقومه خبرة سابقة في مجال البحر، ولولا ذلك الفكر المبدع الخلاق الذي تميز به معاوية ﷺ لفات المسلمين خير كثير، ولظل الروم يهددون مصر والشام، ويغيرون عليهما باستمرار، ولظلوا يُحكمون سيطرتهم على البحر المتوسط وجزره مدة طويلة، ولظلت عاصمتهم القسطنطينية في مأمن من هجمات المسلمين.

٥ ـ تشرف معاوية بن أبي سفيان ﷺ بأنه كان قائداً لأول جيش من أمة محمد ﷺ يغزو في البحر[٣١]، وكان ذلك في خلافة عثمان ﷺ، وهو الذي أرسل أول جيش إسلامي لغزو القسطنطينية، وكان ذلك الجيش بقيادة ولده يزيد، وفيه عدد من كبار الصحابة أمثال: عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعبد العزيز بن زرارة الكلابي وأبو أيوب الأنصاري الذي استشهد ودفن حول

(٢٦) الطبري، تاريخ ، ج2/ص601.

(٢٧) البلاذري، فتوح البلدان، ج1/ص124.

(٢٨) الطبري، تاريخ، ج2/ص602، السيوطي، تاريخ الخلفاء ج1/ص155.

(٢٩) الطبري، تاريخ، ج2/ص618 – 619.

(٣٠) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3/ص314؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج1/ص56.

(٣١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج6/ص88.

أسوارها[٣٢]، وهذان الجيشان هما اللذان قال فيهما النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي روته أم حرام فقالت: "سمعت النبي ﷺ يقول: "أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا، قالت أم حرام: قلت: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: أنت فيهم، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم، فقلت: أنا فيهم يا رسول الله قال لا "[٣٣]، وقد شاركت أم حرام مع معاوية في غزوه لقبرص، ووقعت عن دابتها فماتت ودفنت فيها[٣٤]، وما أعظمه من فضل أن يكون معاوية ﷺ قائداً للجيش الأول من أمة محمد الذين يغزون في البحر، والذين وجبت لهم مغفرة الله وجنته بشهادة النبي ﷺ، وأن يكون هو الخليفة الذي قرر إرسال أول جيش إسلامي لغزو مدينة قيصر، والذي بشر النبي - عليه الصلاة والسلام - بأنه مغفور لكل جنوده، والملاحظ أن القائد الميداني للجيش الأول الذي توجه لفتح القسطنطينية هو يزيد بن معاوية، وأن عدداً من كبار الصحابة كانوا جنوداً في ذلك الجيش، ولا شك أن معاوية كان يرغب من خلال تكليف ولده بهذه المهمة أن يعلمه ويدربه ويعزز ثقته بنفسه، ويزيد من قدراته القيادية، ولا شك أن الصحابة الكرام قد رضوا بأن يكونوا جنوداً تحت قيادته لأن همهم الأكبر هو أجر الجهاد، وليس شرف القيادة، والأجر يتحقق سواء كانوا قادة أو جنوداً، ولأنهم يعلمون أن ما فعله معاوية كان بهدف إعداد القادة للمستقبل، وهو منهج تعلموه من النبي ﷺ الذي اختار أسامة بن زيد قائداً على الجيش المتوجه لغزو الروم، وفيه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وغيرهما من كبار الصحابة[٣٥]، كما أن اختيار يزيد لتلك المهمة، وعدم اعتراض الصحابة عليه، وقبولهم أن يكونوا جنوداً تحت إمرته، دليل على صلاح يزيد واستقامته وكذب الروايات التي تكيل له التهم بالفسق والفجور، إذ لا يعقل أن يختار معاوية شاباً متهماً بالفسق ليقود جيشاً فيه عدد من كبار الصحابة، لينجز مهمة جهادية صعبة حتى لو كان ولده، ولا يعقل أن يقبل بالقتال تحت قيادته عبد الله بن عمر

(٣٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3/ص314.

(٣٣) البخاري، صحيح البخاري، ج3/ص1069.

(٣٤) النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ج13/ص59.

(٣٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى ،ج4/ص67 ؛ ؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ج2/ص57.

وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وغيرهم وهم يعلمون أنه فاسق منحرف كما يتهمه البعض[٣٦].

٦ -كان لتنازل الحسن بن علي ﷺ عن الخلافة لمعاوية الفضل الأكبر في قطع دابر الفتنة التي فرقت المسلمين وأضعفت كلمتهم، وقد فسر الحسن ذلك التنازل فيقول: "يا أهل العراق إنه سَخَّى[٣٧] بنفسي عنكم ثلاث، قتلكم أبي، وطعنكم إياي، وانتهابكم متاعي"[٣٨]، ولقد صدق فيه قول جده ﷺ: "إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين"[٣٩]، وقد أسهم معاوية بحلمه وحكمته في تشجيع الحسن على اتخاذ قرار التنازل، فعندما علم بميله للتنازل والصلح أرسل إليه بصحيفة بيضاء مختوم على أسفلها، وكتب إليه أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت فهو لك[٤٠].

٧ -كان لسياسة معاوية الحكيمة الفضل في ضم مصر وخراسان وتوحيد الأمة تحت خلافته، بعد فتن واقتتال وفرقة استمرت من سنة (35-40هـ = 655-660م)، وقد سمي عام (41هـ = 661م) الذي توحدت فيه الأمة عام الجماعة[٤١]، وقد حقق معاوية الوحدة دون قتال، وقد روى ابن الجوزي كيف تمكن من إقناع حاكم مصر قيس بن سعد الذي كان موالياً لعلي بالدخول في بيعته فقال: "وذلك أن قيس بن سعد كان على شرطة جيش علي ﷺ، وهم أربعون ألفاً، فتعاقدوا هم وهو على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة علي ﷺ على أموالهم ودمائهم وما أصابوا في الفتنة، فأرسل معاوية إلى قيس يذكره الله تعالى ويقول: على طاعة من تقاتل، وقد بايعني الذي أعطيته طاعتك؟! فأبى أن يلين له، فأرسل إليه معاوية بسجل قد ختم عليه في أسفله، وقال: اكتب في هذا السجل ما شئت فهو لك، فقال عمرو: لا تعطه وقاتله، فقال: على رسلك، فإنا لا نخلص إلى قتال هؤلاء حتى يقتلوا أعدادهم من أهل الشام، فما خير العيش بعد ذلك؟! وإني لا أقاتله حتى لا أجد بداً

---

(٣٦) إصرار عبد الله بن عمر على المحافظة على بيعة يزيد بعد معركة الحرة، ونهي الناس عن خلعه دليل على استقامته وعدم انحرافه.ينظر: صحيح البخاري ج6/ص2603؛ صحيح مسلم ج4/ص1903.

(٣٧) سَخَّى نفْسَه عنه وبنَفْسِه تركه سَخَّيْتُ نفسي عنه تَركته ولم تنازعني نفسي إليه. ابن منظور، لسان العرب ج 14 ص 373.

(٣٨) الطبري، تاريخ ، ج3/ص165. يشير النص إلى حادثة خلاصتها أن أهل العراق غدروا بالحسن في الطريق أثناء توجهه معهم لقتال معاوية، إذ أقدموا على طعنه وسرقة متاعه، وهم الذين خذلوا أباه من قبل، ومن أهل العراق أيضاً الخارجي عبد الرحمن بن ملجم الذي أقدم على قتل علي ﷺ. يُنظر: المزي، تهذيب الكمال ج6/ص245 - 246.

(٣٩) البخاري، صحيح البخاري، ج2/ص962.

(٤٠) الطبري، تاريخ، ج3/ص167.

(٤١) ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة ،ج6/ص152.

من قتاله، فلما بعث إليه معاوية ذلك السجل، اشترط لنفسه ولشيعة علي ما أصابوا من الدماء والأموال، ولم يسأل معاوية في سجله مالاً، وأعطاه معاوية ما سأل، فدخل قيس بن سعد ومن معه في طاعة معاوية"[٤٢]، لقد كان لحلم معاوية ﷺ وحسن تصرفه الأثر الكبير في وقف نار الفتنة، ولو أنه قاتل قيساً وجيشه لتجددت الفتنة ولخسر المسلمون ودمرت دولتهم منذ ذلك العهد، وإنها لحكمة بالغة أن يدرك معاوية أنه لن يطيب العيش بعد انتصار يؤدي إلى أن يقتل المسلمون بعضهم بعضاً، ومن الواضح أنه أفاد من التجارب المرة التي مر بها المسلمون في زمن الفتنة والتي أدت في أكثر من معركة إلى أن يقتل بعضهم بعضاً، وإن ذلك النجاح الذي حققه معاوية أميراً على الشام عشرين عاماً، وخليفة على المسلمين قريباً من ذلك، ليؤكد فراسة أبيه أبي سفيان، وأمه هند بنت عتبة اللذين لاحظا علامات النجابة عليه منذ صغره، فتوقعا له السيادة والملك، حيث روى المدائني: أن أبا سفيان "نظر إلى معاوية وهو غلام فقال: إن ابني هذا لعظيم الرأس، وإنه لخليق أن يسود قومه، فقالت هند: قومه فقط؟! ثكلته إن لم يسد العرب قاطبة"[٤٣]، وقد لاحظ ذلك أعرابي في الجاهلية، فعن أبان بن عثمان قال: "كان معاوية وهو غلام يمشي مع أمه هند، فعثر، فقالت: قم لا رفعك الله، وأعرابي ينظر فقال: لم تقولين له؟! فوالله إني لأظنه سيسود قومه، قالت: لا رفعه إن لم يسد إلا قومه"[٤٤].

٨ ـ كان لمعاوية الفضل في استئناف حركة الجهاد والفتح التي توقفت زمن الفتنة، وقد عملت قواته على كافة الجبهات، فحققت فتوحات كثيرة في شمال أفريقيا والمغرب من خلال قادة كبار أحسن اختيارهم، وتولى دعمهم وتوجيههم ومتابعتهم، حيث فتحت سوسة[٤٥] وجلولاء[٤٦] وبنزرت[٤٧] سنة (45هـ = 665م) تحت قيادة معاوية بن حديج، وفتحت كوار[٤٨] وخاور[٤٩] وغدامس[٥٠]

(٤٢) المنتظم ج:5 ص:185.

(٤٣) ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج6/ص153.

(٤٤) سير أعلام النبلاء ج3/ص121. يُنظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج59/ص65؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة .

(٤٥) ياقوت، معجم البلدان، ج3/ص282؛ الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1/ص133.

(٤٦) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ج1/ص210-211؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2/ص485؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج2/ص575؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ج1/ص328.

(٤٧) ياقوت، معجم البلدان، ج1/ص500؛ الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1/ص134.

(٤٨) كوار: إقليم من بلاد السودان جنوبي فزان، افتتحه عقبة بن عامر عن آخره. معجم البلدان، ج4/ص486.

(٤٩) خاور: أكبر مدينة من كورة كوار جنوبي فزان، افتتحها عقبة بن عامر سنة سبع وأربعين بعد ممانعة. معجم البلدان، ج2/ص341.

بجهود عقبة بن نافع[٥١]، ثم بدأ بناء القيروان سنة (50هـ = 670هـ)[٥٢]، وفتحت المغرب الأوسط تحت قيادة أبي المهاجر دينار[٥٣] (55-62هـ = 675هـ-682م)، وقد دخل أثناء خلافة معاوية الكثير من البربر في الإسلام. كما وجه معاوية الجيوش إلى الجبهة الشرقية للدولة الإسلامية، فوصلت إلى كابل وزابلستان سنة (46هـ=666م)[٥٤]، وصالحه أهل بخارى وسمرقند وغيرهما من بلاد الترك[٥٥]، قال ابن كثير: "لما قتل عثمان لم يكن للناس غازية تغزو حتى كان عام الجماعة، فأغزاهم معاوية أرض الروم ست عشرة غزوة، تذهب سرية في الصيف، ويشتوا بأرض الروم، ثم تقفل وتعقبها أخرى، وكان في جملة من أغزى ابنه يزيد، ومعه خلق من الصحابة، فجاز بهم الخليج، وقاتلوا أهل القسطنطينية، على بابها، ثم قفل بهم راجعاً إلى الشام، وكان آخر ما أوصى به معاوية أن قال: شُدّ خناق الروم"[٥٦]، والملاحظ أن معاوية كان يقاتل في وقت واحد على الجبهتين الغربية والشرقية للدولة الإسلامية، وتلك همة عالية لا توجد إلا عند المؤمنين الرجال أولو العزم والتقوى والإخلاص والفضل من أمثال معاوية ﷺ الذي نجح في صناعة الاستقرار في الدولة الإسلامية، وحول الأمة التي كانت قريبة عهد بفتنة واقتتال داخلي إلى أمة موحدة تنتصر وتفتح البلدان في المغرب والمشرق وتحاصر الروم في عقر دارهم.

٩ -لمعاوية فضل كبير في التطور الإداري والحضاري الذي شهدته الدولة الإسلامية، فهو أول من أنشأ البريد، وأول من حزم الكتب ثم ختمها، وأول من أنشأ ديوان الخاتم[٥٧]، وأول من وضع المقصورة في المساجد حراسة للأمراء من الاعتداء[٥٨]، وأول من أنشأ للمسلمين أسطولاً بحرياً، وهزم أعداءهم في البحر، وفتح جزره[٥٩]، وأول من جاء إلى المسجد الحرام بمنبر خطب عليه،

---

(٥٠) غدامس: بفتح أوله، وهي مدينة بالمغرب ثم في جنوبيه ضاربة في بلاد السودان بعد بلاد زافون. معجم البلدان، ج4/ص187.

(٥١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ج1/ص332؛ معجم البلدان ج4/ص486.

(٥٢) خليفة، تاريخ خليفة بن خياط، ج1/ص210؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3/ص282؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8/ص45.

(٥٣) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج7/ص102؛ القلقشندي، مآثر الإنافة، ج1/ص115؛ الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1/ص136.

(٥٤) خليفة، تاريخ خليفة بن خياط، ج1/ص208؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3/ص296؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج3/ص8 .

(٥٥) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2/ص237؛ البلاذري، فتوح البلدان، ج1/ص401.

(٥٦) البداية والنهاية، ج8/ ص127.

(٥٧) ابن الجوزي، المنتظم، ج5/ص185؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج3/ص24.

(٥٨) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3/ص374.

(٥٩) الطبري، تاريخ، ج2/ص601.

وكان الخلفاء قبل ذلك يخطبون واقفين على أرجلهم[٦٠]، وأول من جعل لسلطان المسلمين عزاً وأبهة "خرج عمر بن الخطاب إلى الشام فرأى معاوية في موكب يتلقاه وراح إليه في موكب، فقال له عمر: يا معاوية تروح في موكب وتغدو في مثله؟! وبلغني أنك تصبح في منزلك وذوو الحاجات ببابك، قال: يا أمير المؤمنين إن العدو بها قريب منا ولهم عيون وجواسيس، فأردت يا أمير المؤمنين أن يروا للإسلام عزاً، فقال له عمر: إن هذا لكيد رجل لبيب، أو خدعة رجل أريب، فقال معاوية: يا أمير المؤمنين مرني بما شئت أصر إليه، قال: ويحك ما ناظرتك في أمر أعيب عليك فيه إلا تركتني ما أدري آمرك أم أنهاك"[٦١]، ولولا قناعة عمر ﷺ بأن في ما يفعله معاوية من تحديث وتطوير مصلحة للمسلمين لما تردد في منعه.

١٠ -كان معاوية حريصاً على سعادة رعيته، وأن يوصل لهم حقوقهم من غير أن يسألوها، فقد روي أنه كان "يبعث رجلاً يقال له أبو الجيش في كل يوم، فيدور على المجالس، يسأل هل ولد لأحد مولود؟، أم قدم أحد من الوفود؟ فإذا أخبر بذلك، أثبت في الديوان، يعني ليجري عليه الرزق"[٦٢]، إن الحاكم الذي يحرص على أن يوصل لأفراد رعيته حقوقهم قبل أن يسألوه إياها، حاكم فاضل عادل يستحق حبهم وتقديرهم.

١١ -عرف معاوية الفضل لأهل الفضل في زمانه، لأنه صاحب فضل "ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوو الفضل"[٦٣]، ومن ذلك أنه عندما جاءه خبر قتل علي ﷺ جعل يبكي ويسترجع، فقالت له امرأته: تبكي عليه وقد كنت تقاتله؟! فقال لها: ويحك إنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم؟"[٦٤]، وكذلك إحسانه إلى أم المؤمنين عائشة ﷺ، فقد روي أنه قضى عنها ثمانية عشر ألف دينار، وما كان عليها من الدين الذي كانت تعطيه الناس، وعن هشام بن عروة عن أبيه قال: "بعث معاوية إلى أم المؤمنين عائشة بمائة ألف، ففرقتها من يومها، فلم يبق منها درهم، فقالت لها خادمتها: هلا أبقيت لنا درهماً نشتري به لحماً تفطري عليه؟! فقالت: لو ذكرتيني لفعلت، وقال عطاء: بعث معاوية إلى عائشة وهي بمكة بطوق

(٦٠) الأزرقي، أخبار مكة، ج2/ص100.

(٦١) الطبري، تاريخ، ج3/ص265.

(٦٢) ابن كثير، البداية والنهاية ج8/ص134.

(٦٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج14/ص151.

(٦٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج59/ص142.

قيمته مائة ألف فقبلته، وروي أن الحسن بن علي ﷺ قدم على معاوية فقال له: "لأجيزنك بجائزة لم يجزها أحد كان قبلي، فأعطاه أربعمائة ألف ، كما وفد إليه مرة الحسن والحسين فأجازهما على الفور بمائتي ألف، وقال لهما: ما أجاز بهما أحد قبلي، فقال له الحسين: ولم تعطِ أحداً أفضل منا، ووفد الحسن وعبد الله بن الزبير على معاوية فقال للحسن: مرحباً وأهلاً بابن رسول الله، وأمر له بثلاثمائة ألف، وقال لابن الزبير: مرحباً وأهلاً بابن عمة رسول الله، وأمر له بمائة ألف، وروي أنه بعث إلى الحسن بن علي بمائة ألف، فقسمها على جلسائه، وكانوا عشرة، فأصاب كل واحد عشرة آلاف، وبعث إلى عبد الله بن جعفر بمائة ألف فاستوهبتها منه امرأته فاطمة، فأطلقها لها، وبعث إلى مروان بن الحكم بمائة ألف، فقسم منها خمسين ألفاً، وحبس خمسين ألفاً، وبعث إلى ابن عمر بمائة ألف، ففرق منها تسعين واستبقى عشرة آلاف، فقال معاوية: إنه لمقتصد يحب الاقتصاد، وبعث إلى عبد الله بن الزبير بمائة ألف"، وروي أنه "كان لعبد الله بن جعفر على معاوية في كل سنة ألف ألف، ويقضى له معها مائة حاجة"[٦٥]، إن سياسة الإحسان من معاوية ﷺ إلى ذوي الفضل من كبار الشخصيات في عهده، يفسر حالة الاستقرار التي شهدتها الدولة الإسلامية في عهده بالرغم من قرب الناس من عهد فتنة، وبالرغم من كثرة المنافسين له الذين يرون أنه أحق منه بالخلافة.

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهمُ فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ[٦٦]

١٢ -كان عالماً فقيهاً مجتهداً، فقد جاء في صحيح البخاري: أن معاوية أوتر بعد العشاء بركعة، وعنده مولى لابن عباس، فأتى ابن عباس، فقال: دعه فإنه صحب رسول الله ﷺ، وقيل لابن عباس هل لك في أمير المؤمنين معاوية فإنه ما أوتر إلا بواحدة؟، قال: "أصاب إنه فقيه"[٦٧].

١٣ -كان حريصاً على الالتزام بالسنة، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، فقد سُمع يوم عاشوراء عام حج على المنبر قال: يأهل المدينة أين علماؤكم؟! سمعت رسول الله ﷺ يقول: "هذا يوم عاشوراء، ولم يكتب الله عليكم صيامه، وأنا صائم،

(٦٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج8/ ص136- 137.

(٦٦) من قصيدة لشاعر يدعى أبو الفتح. السبكي، طبقات الشافعية الكبرى ج5/ص295.

(٦٧) البخاري، صحيح البخاري، ج3/ص1373.

فمن شاء فليصم ومن شاء فليفطر"[٦٨]، وروي: أنه تناول قصة من شعر وقال على المنبر نفسه: يا أهل المدينة أين علماؤكم؟! سمعت النبي ﷺ ينهى عن مثل هذه ويقول: " إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذها نساؤهم"[٦٩]، وروي عن طاووس أن معاوية بن أبي سفيان ﷺ بزق ذات ليلة في المسجد، ثم ذهب، ثم رجع بشعلة من نار، فجعل يتتبع بزقته، حتى وجدها ثم دفنها[٧٠].

١٤ -عرف معاوية ﷺ كيف يوفق بين حق ربه وحق نفسه وحق بيته وحق رعيته، إذ أعطى لكل ذي حق حقه، في توازن عجيب يفسر سبب إنجازاته العظيمة في وقت قصير، فهم تلك من رواية قدمها المسعودي عن يوم في حياة معاوية، نذكرها بتفاصيلها لتكون درساً يتعلم منه كل مسئول في زماننا فن الإدارة والسياسة ومعنى المسئولية وأسرار النجاح فيها، قال: "كان إذا صلى الفجر جلس للقاصِّ حتى يفرغ من قصصه، ثم يدخل فيؤتى بمصحفه فيقرأ جزأه، ثم يدخل منزله فيأمر وينهى، ثم يصلي أربع ركعات، ثم يخرج إلى مجلسه، فيأذن لخاصة الخاصة. فيحدثهم ويحدثونه، ويدخل عليه وزراؤه فيكلمونه فيما يريدون من يومهم... ثم يدخل منزله لما أراد، ثم يخرج فيقول: يا غلام أخرج الكرسي، فيخرج إلى المسجد فيوضع فيسند ظهره إلى المقصورة ويجلس على الكرسي، ويقوم الأحْرَاسُ فيتقدم إليه الضعيف والأعرابي والصبي والمرأة ومن لا أحد له، فيقول: ظلمت، فيقول: أعِزُّوهُ، ويقول: عدي علي، فيقول: ابعثوا معه، ويقول: صنع بي، فيقول: انظروا في أمره، حتى إذا لم يبق أحد دخل فجلس على السرير، ثم يقول: ائذنوا للناس على قدر منازلهم، ولا يشغلني أحد عن رد السلام... فإذا استووا جلوساً قال: يا هؤلاء، إنما سميتم أشرافاً لأنكم شرفتم من دونكم بهذا المجلس، ارفعوا إلينا حوائج مَنْ لا يصل إلينا، فيقوم الرجل فيقول: استشهد فلان، فيقول: افرضوا لولده، ويقول آخر: غاب فلان عن أهله، فيقول: تعاهدوهم، أعطوهم، اقضوا حوائجهم، اخدموهم... حتى يأتي على أصحاب الحوائج كلهم...فيدخل منزله، فلا يطمع فيه طامع، حتى ينادى بالظهر، فيخرج فيصلي، ثم يدخل فيصلي أربع ركعات، ثم يجلس فيأذن لخاصة الخاصة... ويدخل إليه وزراؤه فيؤامرونه فيما احتاجوا إليه بقيَّة يومهم، ويجلس إلى العصر، ثم يخرج

(٦٨) البخاري، صحيح البخاري، ج2/ص704.

(٦٩) البخاري، صحيح البخاري، ج3/ص1279

(٧٠) عمر بن شبه، أخبار المدينة، ج1/ص22.

فيصلي - العصر، ثم يدخل إلى منزله فلا يطمع فيه طامع، حتى إذا كان في آخر أوقات العصر خرج فجلس على سريره، ويُؤْذنُ للناس على منازلهم... وينادى بالمغرب فيخرج فيصليها... ثم يدخل منزله فلا يطمع فيه طامع حتى ينادى بالعشاء الآخرة، فيخرج كي يصلي، ثم يؤذن للخاصة وخاصة الخاصة والوزراء والحاشية، فيؤامره الوزراء فيما أرادوا صدراً من ليلتهم، ويستمر إلى ثلث الليل في أخبار العرب وأيامها والعجم وملوكها وسياستها لرعيتها وسِيَر ملوك الأمم وحروبها ومكايدها وسياستها لرعيتها، وغير ذلك من أخبار الأمم السالفة... ثم يدخل فينام ثلث الليل، ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك وأخبارها والحروب والمكايد، فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون، وقد وكلوا بحفظها وقراءتها، فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الأخبار والسير والآثار وأنواع السياسات، ثم يخرج فيصلي الصبح، ثم يعود فيفعل ما وصفنا في كل يوم. وقد كان همّ بأخلاقه جماعةٌ بعده مثل عبد الملك بن مروان وغيره فلم يدركوا حلمه، ولا إتقانه للسياسة، ولا التأنّي للأمور، ولا مداراته للناس على منازلهم، ورفقه بهم على طبقاتهم"[٧١].

١٥ -كان معاوية حكيماً فصيحاً بليغاً ينطق بأقوال تصلح حكماً ودروساً للناس وللساسة في كل زمان، ومن أقواله: "لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت، قيل وكيف يا أمير المؤمنين؟! قال: كانوا إذا مدوها خليتها، وإذا خلوها مددتها"[٧٢]، و قيل لمعاوية: "أي الناس أحب إليك؟ قال: أشدهم لي تحبيباً إلي الناس، وقال معاوية: "العقل والحلم والعلم أفضل ما أعطي العباد، فإذا ذُكّر ذكر، وإذا أُعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا غضب كظم، وإذا قدر غفر، وإذا أساء استغفر، وإذا وعد أنجز"[٧٣]، وقال: "إني لأستحي أن يكون ذنب أعظم من عفوي، أو جهل أكبر من حلمي، أو تكون عورة لا أواريها بستري"[٧٤]، وقال معاوية: "يا بني أمية فارقوا قريشاً بالحلم، فوالله لقد كنت ألقى الرجل في الجاهلية فيوسعني شتماً وأوسعه حلماً، فأرجع وهو لي صديق، إن استنجدته أنجدني،

(٧١) مروج الذهب ،ج1/ص 361(المكتبة الشاملة).

(٧٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2/ص238.

(٧٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3/ص374.

(٧٤) ابن كثير ،البداية والنهاية، ج8/ص135.

وأثور به فيثور معي، وما وضع الحلم عن شريف شرفه، ولا زاده إلا كرما"[٧٥]، وقال:"آفة الحلم الذل"[٧٦]، وقال: "لا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته، ولا يبلغ الرجل ذلك إلا بقوة الحلم"[٧٧]، وكتب معاوية إلى نائبه على العراق زياد بن أبيه، "إنه لا ينبغي أن يسوس الناس سياسة واحدة باللين فيمرحوا، ولا بالشدة فيحمل الناس على المهالك، ولكن كن أنت للشدة والفظاظة والغلظة، وأنا للين والألفة والرحمة، حتى إذا خاف خائف وجد باباً يدخل منه"[٧٨].

١٦ -كان معاوية صاحب عزم وجلد، وقد حافظ على عزمه وجلده حتى عندما كان يحتضر، ففي اليوم الذي توفي فيه رحمه الله كان متعباً و"تحدث الناس بموته، فقال لأهله: احشوا عيني إثمداً، وأوسعوا رأسي دهناً، ففعلوا وغرقوا وجهه بالدهن، ثم مُهِّد له مجلس، وقال: أسندوني، ثم قال: ائذنوا للناس، فليسلموا عليّ قياماً، ولا يجلس أحد، فجعل الرجل يدخل فيسلم قائماً فيراه مكتحلاً متدهناً، فيقول متقوّل الناس: إن أمير المؤمنين لما به، وهو أصح الناس، فلما خرجوا من عنده قال معاوية في ذلك[٧٩].

وتجلدي للشامتين أريهـــم أنى لريب الدهر لا أتضعضع

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفـــــــع"[٨٠].

١٧ -كان معاوية متواضعاً محباً للمسلمين ناصحاً لهم، مقدراً لفضل من حوله من: الصحابة الكرام، مدركاً أن فيهم من هو أفضل منه، فقد روى ابن كثير: أنه وقف في الناس خطيباً فقال:" يأيها الناس ما أنا بخيركم، وإن منكم لمن هو خير مني، عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وغيرهما من الأفاضل، ولكن عسى أن أكون أنفعكم ولاية، وأنكاكم في عدوكم وأدرّكم حلباً"[٨١]، وقال: "أيها الناس اعقلوا

(٧٥) ابن كثير،البداية والنهاية، ج8/ص136.

(٧٦) ابن كثير،البداية والنهاية، ج8/ص136.

(٧٧)ابن كثير،البداية والنهاية، ج8/ص136.

(٧٨) ابن كثير، البداية والنهاية، ج8/ص136.

(٧٩) هذه الأبيات للشاعر أبي ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي الذي أدرك الجاهلية، وأسلم بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، وشهد يوم السقيفة، وصلى على النبي ﷺ، وكان أشعر هذيل وهذيل أشعر العرب، توفي غازياً بأفريقية في خلافة عثمان. ابن كثير، البداية والنهاية، ج7/ص222.

(٨٠) ابن كثير، البداية والنهاية، ج8/ص142.

(٨١) البداية والنهاية، ج8/ص134.

قولي، فلن تجدوا أعلم بأمور الدنيا والآخرة مني، أقيموا وجوهكم وصفوفكم في الصلاة، أو ليخالفن الله بين قلوبكم، خذوا على أيدي سفهائكم، أو ليسلطن الله عليكم عدوكم، فليسومنكم سوء العذاب، تصدقوا ولا يقولن الرجل إني مقل، فإن صدقة المقل أفضل من صدقة الغني، وإياكم وقذف المحصنات، وأن يقول الرجل سمعت وبلغني، فلو قذف أحدكم امرأة على عهد نوح لسئل عنها يوم القيامة"[٨٢].

١٨ -ومن فضائل معاوية - رحمه الله- توفيق الله تعالى له في آخر حياته بالنطق بكلمات طيبة لا يوفق لمثلها إلا من أحسن الله خاتمته، فقد روي: أنه خطب الناس فقال: "إني من زرع قد استحصد، وقد طالت إمرتي عليكم، حتى مللتموني، وتمنيت فراقكم، وتمنيتم فراقي، ولا يأتيكم بعدي خير مني، كما أن من كان قبلي كان خيراً مني، وقد قيل: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، اللهم إني قد أحببت لقاءك فأحب لقائي"[٨٣]، وقد سجلت مصادرنا أقوالاً لمعاوية، وهو على فراش الموت، منها قوله:" تباً لك من دار، ملكتك أربعين سنة، عشرين أميراً، وعشرين خليفة، ثم هذا حالي فيك ومصيري منك، تباً للدنيا ولمحبيها"[٨٤]، وقوله: "يا ليتني كنت رجلاً من قريش بذي طوى، ولم أل من هذا الأمر شيئاً، وقال أبو السائب المخزومي: لما حضرت معاوية الوفاة تمثل بقول الشاعر:

إن تناقش يكن نقاشك يـــا رب عذاباً لا طوق لي بالعذاب

أو تجاوز تجاوز العفو، واصفح عن مسيء ذنوبه كالتراب

وقال محمد بن سيرين: "جعل معاوية لما احتضر يضع خداً على الأرض، ثم يقلب وجهه ويضع الخد الآخر ويبكي، ويقول: "اللهم إنك قلت في كتابك "إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء"[٨٥]، اللهم فاجعلني فيمن تشاء أن تغفر له، ثم قال: اللهم أقل العثرة، واعف عن الزلة، وتجاوز بحلمك عن جهل من لم يرج غيرك، فإنك واسع المغفرة، ليس لذي خطيئة من خطيئته مهرب إلا إليك"[٨٦].

(٨٢) البداية والنهاية، ج8/ص134.

(٨٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج59/ص216.

(٨٤) ابن كثير،البداية والنهاية، ج8/ص142.

(٨٥) النساء، آية 48.

(٨٦) ابن كثير،البداية والنهاية، ج8/ص142.

وروي: أنه "أغمي عليه ثم أفاق، فقال لأهله: "اتقوا الله، فإن الله تعالى يقي من اتقاه، ولا يقي من لا يتقي، ثم مات رحمه الله"[٨٧].

ثالثاً: فضائل معاوية عند الصحابة والتابعين والعلماء والمؤرخين.

شهد لمعاوية بالفضل الكثير من أهل الفضل سواء أكان من الصحابة أم التابعين أم العلماء أم المؤرخين الذين عرفوه أو سمعوا عنه أو قرءوا تاريخه، وتلك بعض شهادات أصحاب رسول الله ﷺ في معاوية ﷺ.

١ ـ قال عبد الله بن عمر ﷺ: "ما رأيت أحداً بعد رسول الله ﷺ أسود[٨٨] من معاوية، فقيل له: هو أسود من أبي بكر؟! قال: كان أبو بكر خيراً منه وهو أسود من أبي بكر، قيل فعمر؟! قال: كان عمر خيراً منه وهو أسود من عمر، قيل فعثمان؟! قال: كان عثمان خيراً منه، وهو أسود من عثمان"[٨٩]، وقال ابن عمر: "معاوية من أحلم الناس قالوا: يا أبا عبد الرحمن وأبو بكر؟! قال: أبو بكر خير من معاوية، ومعاوية من أحلم الناس"[٩٠].

٢ ـ قال عبد الله بن عباس ﷺ: "ما رأيت رجلاً كان أخلق بالملك من معاوية"[٩١]، وفي رواية أخرى قال: "ما رأيت أخلق للملك من معاوية، إن كان ليرد الناس منه علي أرجاء واد رحب"[٩٢].

٣ ـ قال عمر بن الخطاب ﷺ: "تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية!!"[٩٣]، وعندما دافع عبد الرحمن بن عوف عن اعتراض عمر على استحداث معاوية للتحرك في موكب بقوله: "ما أحسن ما صدر عما أوردته فيه يا أمير المؤمنين" رد عمر قائلاً: "لحسن موارده ومصادره جشمناه ما جشمناه"[٩٤]، ويروى: "أنه دخل معاوية على عمر وعليه حلة خضراء، فنظر إليها الصحابة، فلما رأى ذلك عمر، وثب إليه بالدرة، فجعل يضربه بها، وجعل

(٨٧) ابن كثير،البداية والنهاية، ج8/ص142.

(٨٨) قيل ارادَ أسْخَى وأعْطى للمال وقيل أحْلم منه و السَّيّد يُطلق على الربِّ والمالِك و الشَّريف والفاضِل والكَريم والحَلِيم ومُتَحمِّل أذى قومه. النهاية ج 2 ص 418.

(٨٩) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج59/ص173. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3/ص152؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8/ص135.

(٩٠) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج59/ص177.

(٩١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج8/ص135.

(٩٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3/ص374.

(٩٣) الطبري، تاريخ، ج3/ص265.

(٩٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج8/ص125. ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج59/ص113.

معاوية يقول: يا أمير المؤمنين الله الله فيّ، فرجع عمر إلى مجلسه، فقال له القوم: لم ضربته يا أمير المؤمنين وما في قومك مثله؟! فقال: والله ما رأيت إلا خيراً، وما بلغني إلا خير، ولو بلغني غير ذلك لكان منى إليه غير ما رأيتم، ولكن رأيته -وأشار بيده- فأحببت أن أضع منه ما شمخ"[٩٥]، وقال: "إياكم والفرقة بعدي فإن فعلتم فاعلموا أن معاوية بالشام"[٩٦].

٤ -شهد لمعاوية حتى من اختلف معه من الصحابة فقال علي بن أبي طالب: "لا تكرهوا إمارة معاوية، فوالله لئن فقدتموه لترون رؤوساً تندر عن كواهلها كأنها الحنظل"[٩٧].

٥ -شهد بعدل معاوية سعد بن أبي وقاص ﷺ فقال: "ما رأيت أحداً بعد عثمان، أقضى بحق من صاحب هذا الباب، يعنى معاوية"[٩٨].

٦ -وقال عبد الله بن الزبير في معاوية بعد مدة من وفاته، في رواية رواها عنه هشام بن عروة فقال: "صلى بنا عبد الله بن الزبير يوماً من الأيام، فوجم بعد الصلاة ساعة، فقال الناس: لقد حدث نفسه، ثم التفت إلينا فقال: "لا يبعدن ابن هند، إن كانت فيه لمخارج لا نجدها في أحد بعده أبداً، والله إن كنا لنفرقه، وما الليث على براثنه بأجرأ منه، فيتفارق لنا، وإن كنا لنخدعه، وما ابن ليلة من أهل الأرض بأدهى منه فيتخادع لنا، والله لوددت أنا متعنا به ما دام في هذا الجبل حجر، وأشار إلى أبي قبيس، لا يتحول له عقل، ولا ينقص له قوة"، قال الراوي: "فقلنا أوحش والله الرجل"[٩٩].

٧ -سأل رجل الحسن بن علي ﷺ فقال: "أبو بكر أفضل أم علي؟ قال: سبحان الله ولا سواء، سبقت لعلي سوابق شركه فيها أبو بكر، وأحدث علي أحداثاً لم يشركه فيها أبو بكر، أبو بكر أفضل، قال: فعمر أم علي؟ فذكر مثل قوله الأول، قال: عمر أفضل، قال فعلي أفضل أم عثمان؟ فذكر مثل قوله الأول، ثم قال: عثمان أفضل، فطمع السائل قال: علي أفضل أم معاوية؟ قال: سبحان الله ولا سواء، سبقت لعلي سوابق لم يشركه فيها معاوية، وأحدث علي أحداثاً شركه معاوية في أحداثه، علي

(٩٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج8/ص125؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة ج6/ص154

(٩٦) ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة ج6/ص154.

(٩٧)ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج59/ص151.

(٩٨) البداية والنهاية ج8/ ص127.

(٩٩) البداية والنهاية ج59/ص185.

أفضل من معاوية"[١٠٠]، إن تلك الشهادات التي جاءت من صحابة كرام صادقين رأوه وعاشوا معه وخبروه، وبعضهم قد اختلف معه، لتدل بشكل واضح على أن معاوية كان رجل دولة من الطراز الأول، سواء أكان في مظهره أم جوهره.

كما شهد لعاوية كثير من التابعين ومن تلك الشهادات:-

١ -يروي الأعمش عن مجاهد أنه قال: "لو رأيتم معاوية لقلتم هذا المهدي"[١٠١]، في إشارة إلى العدل الذي حرص عليه وانتشر في عهده.

٢ -ذكر عبد الملك بن مروان يوماً معاوية فقال: "ما رأيت مثله في حلمه واحتماله وكرمه"[١٠٢]، ويروى أن عبد الملك مرّ بقبر معاوية فوقف عليه فترحم، فقيل له: قبر من هذا؟! فقال: "قبر رجل كان والله فيما علمته ينطق عن علم، ويسكت عن حلم، إذا أعطى أغنى، وإذا حارب أفنى، ثم عجل له الدهر ما أخره لغيره ممن بعده، هذا قبر أبي عبد الرحمن معاوية"[١٠٣].

٣ -قال قبيصة بن جابر الذي صحب معاوية: "ما رأيت أحداً أعظم حلماً، ولا أكثر سؤدداً، ولا أبعد أناة، ولا ألين مخرجاً، ولا أرحب باعاً بالمعروف من معاوية"[١٠٤].

٤ -جرى بين رجل يقال له أبو الجهل وبين معاوية كلام فتكلم أبو جهل بكلام فيه غمر لمعاوية، فأطرق معاوية، ثم رفع رأسه فقال: "يا أبا الجهل إياك والسلطان، فإنه يغضب غضب الصبيان، ويأخذ أخذ الأسد، وإن قليله يغلب كثير الناس، ثم أمر معاوية لأبى الجهل بمال، فقال أبو جهل في ذلك يمدح معاوية:

نميل على جوانبه كأنا نميل إذا نميل على أبينا

نقلبه لنخبر حالتيـــــه فنخبر منهما كرماً ولينا"[١٠٥]

إن كثرة عدد الشاهدات الإيجابية من الناس في شخص ما تدل على خيرية ذلك الشخص، والعكس صحيح، وهي مقدرة حتى عند الله تعالى، فكيف إذا جاءت تلك

(١٠٠) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج59/ص142.

(١٠١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج8/ص135.

(١٠٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج8/ص135.

(١٠٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3/ص374

(١٠٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج8/ ص135..

(١٠٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج8/ ص135.

الشهادات الإيجابية من صحابة أو تابعين اشتهروا بالصدق والعلم؟! ومما يؤكد مكانة شهادة الناس في بعضهم البعض عند الله تعالى قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري:" أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة، فقلنا: وثلاثة؟ قال: وثلاثة، فقلنا: واثنان؟ قال: واثنان، ثم لم نسأله عن الواحد"(١٠٦).

كما شهد لمعاوية طائفة مميزة من العلماء والمؤرخين، ومن تلك الشهادات التي سجلتها مصادرنا:-

١ -سئل المعافى بن عمران: أيهما أفضل معاوية؟ أم عمر بن عبد العزيز؟! فغضب وقال للسائل: أتجعل رجلاً من الصحابة مثل رجل من التابعين؟! معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحى الله"(١٠٧).

٢ -سئل عبد الله بن المبارك عن معاوية فقال: "ما أقول في رجل قال رسول الله ﷺ: سمع الله لمن حمده، فقال خلفه: ربنا ولك الحمد؟! فقيل له: أيهما أفضل هو أو عمر بن عبد العزيز؟! فقال: لتراب في منخري معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير وأفضل من عمر بن عبد العزيز، وقال في موضع آخر: معاوية عندنا محنة، فمن رأيناه ينظر إليه شزراً اتهمناه"(١٠٨)، وقال ابن مبارك: "ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب إنساناً قط إلا إنسان شتم معاوية فإنه ضربه أسواطاً"(١٠٩).

٣ -قال الإمام أحمد بن حنبل: "إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام، وسئل عن رجل تنقَّص معاوية وعمرو بن العاص أيقال له رافضي؟ فقال: إنه لم يجترىء عليهما إلا وله خبيئة سوء، ما انتقص أحد أحداً من الصحابة إلا وله داخلة سوء"(١١٠).

٤ -سأل رجل أبا زرعة فقال له: "يا أبا زرعة أنا أبغض معاوية، قال: لم؟! قال: لأنه قاتل علي بن أبي طالب، فقال له: "إن رب معاوية رب رحيم، وخصم معاوية خصم كريم، فأيش دخولك أنت بينهما، ﷺ"(١١١).

(١٠٦) صحيح البخاري ج1/ص460

(١٠٧) ابن كثير، البداية والنهاية ، ج8/ص139.

(١٠٨) ابن كثير، البداية والنهاية ، ج8/ص139.

(١٠٩) ابن كثير، البداية والنهاية ، ج8/ص139.

(١١٠) ابن كثير، البداية والنهاية ، ج8/ص139.

(١١١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج59/ص141.

٥ -قال أبو توبة الربيع بن نافع الحلبي: "معاوية ستر لأصحاب محمد ﷺ، فإذا كشف الرجل الستر اجترأ على ما وراءه"[١١٢].

٦ -شهد لمعاوية المؤرخ المشهور بدقته ابن خلدون، حيث قال: "وأقام في سلطانه وخلافته عشرين سنة ينفق من بضاعة السياسة، التي لم يكن أحد من قومه أوفر فيها منه يداً من أهل الترشيح، من ولد فاطمة وبني هاشم وآل الزبير وأمثالهم، ويصانع رؤوس العرب، وقروم[١١٣] مضر، بالإغضاء والاحتمال والصبر على الأذى والمكروه، وكانت غايته في الحلم لا تدرك، وعصابته فيها لا تنزع"[١١٤]، ويشكك في الروايات التي تطعن فيه فيقول:" فكثيراً ما يوجد في كلام المؤرخين أخبار فيها مطاعن وشبه في حقهم أكثرها من أهل الأهواء، فلا ينبغي أن تسود بها الصحف"[١١٥]، وقد شكك مثلاً في الرواية التي تتهم معاوية بقتل الحسن بن علي ﷺ فقال: "وما ينقل من أن معاوية دس إليهم السم مع زوجه جعدة بنت الأشعث فهو من أحاديث الشيعة وحاشا لمعاوية من ذلك"[١١٦]، وقد أكد على فضل معاوية واستحقاقه أن يُضَم إلى سابقيه من الخلفاء الراشدين، فقال: "وقد كان ينبغي أن تُلحق دولة معاوية وأخباره بدول الخلفاء وأخبارهم، فهو تاليهم في الفضل والعدالة والصحبة، ولا ينظر في ذلك إلى حديث الخلافة بعدي ثلاثون سنة، فإنه لم يصح، والحق أن معاوية في عداد الخلفاء"[١١٧]، وقال مدافعاً عن معاوية: "وحاش الله أن يشبه معاوية بأحد ممن بعده، فهو من الخلفاء الراشدين... ولا يقال إن الملك أدون رتبة من الخلافة، فكيف يكون خليفة ملكاً، واعلم أن الملك الذي يخالف بل ينافي الخلافة هو الجبروتية... وأما الملك الذي هو الغلبة والقهر بالعصبية والشوكة فلا ينافي الخلافة ولا النبوة، فقد كان سليمان بن داود وأبوه صلوات الله عليهما نبيين وملكين، وكانا على غاية الاستقامة في دنياهما، وعلى طاعة ربهما عز وجل، ومعاوية لم يطلب الملك ولا أبهته للاستكثار من الدنيا، وإنما ساقه أمر العصبية بطبعها لمّا استولى المسلمون على الدول كلها، وكان هو خليفتهم، فدعاهم بما يدعو الملوك إليه قومهم عندما تستفحل العصبية،

---

(١١٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج8/ص139.

(١١٣) قروم مضر: كرام مضر، المُقْرَم، هو البعير المُكْرَم الذي لا يحمل عليه ولا يذلل. ابن منظور، لسان العرب، ج 12/ ص 473.

(١١٤) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج3/ص5.

(١١٥) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج2/ص650.

(١١٦) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج2/ص649.

(١١٧) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج2/ ص650.

وتدعو لطبيعة الملك، وكذلك شأن الخلفاء أهل الدين من بعده إذا دعتهم ضرورة الملك إلى استفحال أحكامه ودواعيه، والقانون في ذلك عرض أفعالهم على الصحيح من الأخبار، لا بالواهي، فمن جرت أفعاله عليها فهو خليفة النبي في المسلمين ومن خرجت أفعاله عن ذلك فهو من ملوك الدنيا"[١١٨]، وقد بلغت قناعة ابن خلدون بفضل معاوية وحسن سياسته إلى حد أنه دافع عن قراره بأخذ البيعة بالخلافة لابنه يزيد، إذ بين أنه ليس أول من فعل ذلك، فقد أخذ أبو بكر العهد من المسلمين بالبيعة لعمر بن الخطاب، ورأى بأنه محل ثقة رعيته، ومن حقهم عليه أن يختار لهم ما يعتقد أنه الأنفع لهم، قائلاً: "وقد عرف ذلك من الشرع بإجماع الأمة على جوازه وانعقاده، إذ وقع بعهد أبي بكر ﷺ لعمر بمحضر من الصحابة وأجازوه، وأوجبوا على أنفسهم به طاعة عمر"[١١٩]، وقال: "والذي دعا معاوية لإيثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه إنما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس، واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد عليه حينئذ من بني أمية، إذ بنو أمية يومئذ لا يرضون سواهم، وهم عصابة قريش وأهل الملة أجمع، وأهل الغلب منهم، فآثره بذلك دون غيره ممن يظن أنه أولى بها، وعدل عن الفاضل إلى المفضول حرصاً على الاتفاق واجتماع الأهواء، الذي شأنه أهم عند الشارع، وإن كان لا يظن بمعاوية غير هذا فعدالته وصحبته مانعة من سوى ذلك، وحضور أكابر الصحابة لذلك وسكوتهم عنه دليل على انتفاء الريب فيه، فليسوا ممن يأخذهم في الحق هوادة، وليس معاوية ممن تأخذه العزة في قبول الحق، فإنهم كلهم أجل من ذلك وعدالتهم مانعة منه"[١٢٠].

٧ -قال اليعقوبي: "وكان لمعاوية حلم ودهاء وجود بالمال"[١٢١].

٨ -قال الذهبي في معاوية: "حسبك بمن يؤمره عمر ثم عثمان على إقليم وهو ثغر فيضبطه ويقوم به أتم قيام ويرضي الناس بسخائه وحلمه"[١٢٢]، وقال: "فهذا الرجل ساد وساس العالم بكمال عقله، وفرط حلمه، وسعة نفسه، وقوة دهائه ورأيه، وله هنات وأمور والله الموعد، وكان محبباً إلى رعيته، عمل نيابة الشام عشرين سنة، والخلافة عشرين سنة، ولم يهجه أحد في دولته، بل دانت له الأمم،

(١١٨) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج2، ص650-651.

(١١٩) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج1/ص210.

(١٢٠) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج1/ص211.

(١٢١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2/ص238.

(١٢٢) سير أعلام النبلاء، ج3/ص132.

وحكم على العرب والعجم"[١٢٣]، وقال: " وخلف معاوية خلق كثير يحبونه ويتغالون فيه ويفضلونه، إما قد ملكهم بالكرم والحلم والعطاء، وإما قد ولدوا في الشام على حبه، وتربى أولادهم على ذلك، وفيهم جماعة يسيرة من الصحابة وعدد كثير من التابعين والفضلاء"[١٢٤].

تلكم هي بعض فضائل الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان ﷺ التي شهد بها: رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدون والصحابة الكرام الذين عرفوه عن قرب، وشهد بها التابعون الذين رأوه أو سمعوا عنه، و المؤرخون المنصفون الذين درسوا تاريخه، وعرفوا قدره، ودافعوا عنه، وأثنوا عليه، كما شهد: بفضائله أعماله وفتوحاته وابتكاراته وإنجازاته التي عز بها الإسلام والمسلمون قروناً من الزمن.

فرحمه الله رحمة واسعة، ورزق أمتنا قادة يهتدون بهديه، ويسلكون دربه؛ ليتحقق على أيديهم: النصر والتحرير والتمكين.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

(١٢٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3/ص133.

(١٢٤) سير أعلام النبلاء، ج3/ص128.

الخاتمة:

تم بحمد الله تعالى الانتهاء من هذا البحث، وقد توصل الباحث من خلاله إلى العديد من النتائج من أهمها:-

- أن معاوية أسلم في السنة السابعة للهجرة، وليس في عام فتح مكة، وأنه كان يكتم إسلامه.
- أن معاوية كان مقرباً من النبي ﷺ حيث شارك معه في غزوتي حنين والطائف، واستأمنه على كتابة الوحي، وبشره بالملك، ودعاه إلى الإحسان والعدل، ودعا له.
- أن معاوية شارك في معركة اليمامة ضد المرتدين، وأبلى فيها بلاء حسناً، وأنه حاز على ثقة الخلفاء الراشدين، فاختاره أبو بكر قائداً في فتوح الشام، واختاره عمر والياً عليها، وكذلك فعل عثمان.
- أن لمعاوية الفضل في أنه قاد أول جيش من أمة ﷺ ركب البحر، وأنه جهز وأرسل أول جيش من أمة محمد غزا مدينة قيصر القسطنطينية.
- أن لمعاوية الفضل في توحيد الأمة في عام الجماعة، حيث استطاع بحلمه وحكمته وكرمه وإحسانه أن يكسب كل المعارضين له ويحقق وحدة الأمة.
- أن لمعاوية الفضل في استئناف حركة الجهاد والفتح حيث فتح المسلمون في عهده المغرب الأوسط، ثم فتحوا معظم جزر البحر المتوسط وسيطروا عليها، وأجبروا أهل بخارى وسمرقند وكابل وزابلستان على الخضوع للمسلمين.
- أن لمعاوية فضلاً كبيراً في التطور الإداري والحضاري الذي شهدته الدولة الإسلامية.
- أن من فضائل معاوية أنه عرف الفضل لأهل الفضل في زمانه فأكرمهم وأحسن إليهم.
- أن كبار الصحابة الذين عرفوا معاوية قبل الفتنة وبعدها قد شهدوا بصفاته الحسنة ومناقبه.
- أن كبار التابعين وخيار العلماء والمؤرخين قد عرفوا قدر معاوية، وأشادوا به، ونهوا عن إيذائه.

المراجع:

- الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1415هـ/ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت:630هـ).
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، مصر، مؤسسة قرطبة/ أحمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني، (ت: 241هـ).
- أخبار مكة للأزرقي، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، بيوت، دار الأندلس للنشر، 1416هـ/ الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد
- صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، بيروت، دار ابن كثير، اليمامة، ط3، 1407هـ/1987م/ البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله (ت:256هـ).
- فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، بيروت، دار الكتب العلمية، 1403هـ/ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (279هـ).
- سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت، دار إحياء التراث/ الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، (279هـ).
- النهاية في غريب الأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، و محمود محمد الطناجي، بيروت، المكتبة العلمية، 1399هـ/ الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد (ت:606هـ)
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، بيروت، دار صادر، ط1، 1358هـ/ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت:597هـ)
- المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ/1990م/ الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، أبو عبد الله (ت:405هـ).
- صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1414هـ/1993م/ ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (354هـ).
- تهذيب الكمال، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1400هـ/1980م/ أبو الحجاج المزي، يوسف بن الزكي عبد الرحمن (ت: 742هـ).
- فتح الباري، تحقيق: محب الدين الخطيب، بيروت، دار المعرفة/ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت:852هـ).
- الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت، دار الجيل، ط1، 1412هـ/1992م.
- صحيح ابن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، بيروت، المكتب الإسلامي، 1390هـ/ 1970م/ ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري (ت:311هـ).
- تاريخ بغداد، بيروت، دار الكتب العلمية/ الخطيب البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر(ت:463هـ).
- تاريخ ابن خلدون، بيروت، دار القلم، ط5، 1984م/ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (808هـ).
- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دمشق، بيروت، دار القلم، ط2، 1397هـ/ خليفة بن خياط، الليثي العصفري أبو عمر (ت: 240هـ).
- سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط9، 1413هـ/ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت:748هـ).
- العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1984م.
- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر، ط2، 1431هـ/ السبكي، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي (ت:771هـ).
- الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر/ ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، (ت: 230هـ).
-تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مصر، مطبعة السعادة، ط1، 1371هـ/ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:911هـ)
- تاريخ الرسل والملوك، بيروت، دار الكتب العلمية/ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت:310هـ).

- الاستيعاب، تحقيق: علي محمد البيجاوي، بيروت، دار الجيل، ط1، 1412هـ/ ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد (463هـ).
- فتوح مصر وأخبارها، تحقيق: محمد الحجيري، بيروت، دار الفكر، ط1، 1416هـ/1996م ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الحكم بن أعين القرشي المصري (ت: 257هـ).
- تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، بيروت، دار الفكر، 1995م ابن عساكر، أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، (571هـ).
- مآثر الإنافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1985م/ القلقشندي، أحمد بن عبد الله (ت: 821هـ).
- البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف/ ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي أبو الفداء، (774هـ).
- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث/ مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت:261هـ).
- مروج الذهب ومعادن الجوهر" المكتبة الشاملة"/ المسعودي، علي بن الحسين (ت:346هـ)
- لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط1/ ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت:711هـ)
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق:جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتب، 1418هـ/1997م/ الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد.
- شرح النووي على صحيح مسلم، بيروت، دار إحياء التراث، 1392هـ/ النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف (ت:676هـ).
- معجم البلدان، بيروت، دار الفكر/ ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله، (626هـ).
- مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، ممشق، دار المأمون للتراث، ط1، 1404هـ/1984م/ أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى (ت: 307هـ).

الفهرس:

ملخص البحث: 74
ABSTRACT 74
المقدمة: 76
أولاً: فضائل معاوية بن أبي سفيان في زمن النبي ﷺ. 79
ثانياً: فضائل معاوية في خلافة الراشدين وخلافته. 81
ثالثاً: فضائل معاوية عند الصحابة والتابعين والعلماء والمؤرخين. 94
الخاتمة: 101
المراجع: 102